

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ
ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩٥)

[الأعراف: 95]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

”لَمَّا لم يتضرَّعوا صادقين من قلوبهم مُعترفين بالحقِّ لأهله -
كما يحقُّ له - استدرجهم بإدِّرار النِّعم، فقال مشيراً إلى طول مدَّةِ
الابتلاء واستبعادهم لكشف ذلك البلاء: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾“ (1)، فبيَّن تعالى
أنَّ تدبيره في أهل القرى لا يجري على نمطٍ واحدٍ، وإنَّما يدبرهم
بما يكونُ إلى الإيمان أقرب؛ لأنَّ ورودَ النِّعمة في البدن والمال بعد
البأساء والضَّرَّاء، يدعو إلى الانقياد والاشتغال بالشُّكر (2)، فهو
بيانٌ منه تعالى لأُمَّةٍ مِنَ الأُمم؛ إذ بعث فيها نبيَّها الذي يدعوها
إلى الإيمان بالله تعالى وحده، ويدعوها إلى الخير الذي يصلحُ به
حَالُهُم في الدُّنيا والآخرة، وَيَقْدَمُونَ على الله يوم القيامة بالعمل
الصَّالح، فيجزئهم جزاءً وفقاً لما قدَّموا (3).

بيان عادة
الله الجارية
في الأولين
واللاحقين

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿بَدَّلْنَا﴾: (بدل) أَصْلٌ وَاحِدٌ مِنَ الْبَدَلِ وَالْبَدَلِ، وهو قيامُ
الشَّيْءِ الدَّاهِبِ، يقال: بَدَّلْتُ الشَّيْءَ؛ إِذَا غَيَّرْتَهُ عَنْ حَالِهِ، وَإِنْ
لَمْ تَأْتِ لَهُ بِبَدِيلٍ (4)، والبدلُ الْخَلْفُ، والإبدالُ، والتَّبدِيلُ، والتَّبدُّلُ،
والاستبدالُ: جعلُ شَيْءٍ مَكَانَ آخَرٍ (5)، وتبدُّلُ السيئة بالحسنة أن

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/11.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/321.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/2903.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بدل).

(5) الراغب، المفردات، وابن منظور، اللسان: (بدل).

يعمل المذنبُ أعمالاً صالحةً تُبطل ما قدّمه من إساءةٍ، ويعفو الله تعالى عن سيئاته، ويحتسب بحسناته⁽¹⁾. ومعنى الإبدال في الآية الكريمة تغييرُ السيئات إلى حسناتٍ، وجعلُ إحداها مكان الأخرى، والسيئات هنا: هي ماساءهم من البأساء والضّراء، والحسناتُ هنا هي ما استدرجوا به من تنعيم، وتصحيح بدنٍ، وسعةٍ رزقٍ، وإطالةٍ في مددِ الإمهال استدرجاً، مع المعافاة والبسطة، حتى تبدّل حالهم الأول، ومضوا على ذلك زماناً.

(2) ﴿السَّيِّئَةُ﴾: من سَوَاءٍ، والسَّيْنُ والواو والهزمة بمعنى القُبْح، ومنه سُمِّيت السيئةُ سيئةً، والنارُ سَوَاءٌ؛ لِقُبْحِ مَنْظَرِهَا⁽²⁾، وقُبْحِ فِعْلَتِهَا. والسَّوْءُ: كلُّ ما يَغُمُّ الإنسانَ مِنَ الأمور الدُّنْيَوِيَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ، وَمِنَ الأحوال النَّفْسِيَّةِ والبدنيَّةِ والخارجة من فوات مالٍ وجاهٍ، وفَقْدِ حَمِيمٍ، وجَدْبٍ، وضيقٍ، وخيبةٍ⁽³⁾. وَجَمَاعٌ ما وردَ من تفسيرات بالأمور الدُّنْيَوِيَّةِ يوجِّهُ معنى اللَّفظة في الآية الكريمة.

(3) ﴿الْحَسَنَةُ﴾: المحاسنُ مِنَ الأعمالِ ضِدُّ المَسَآئِي، وحروفُه من أصل واحد، فحواء ضِدُّ القبح⁽⁴⁾، وضِدُّ الإساءة⁽⁵⁾، وَيُعْبَرُ بِهَا عَنْ كُلِّ مَا يَسُرُّ مِنْ نعمةٍ تنال الإنسانَ في نفسه، وبدنه، وأحواله من خَصْبٍ، وَسَعَةٍ، وَظَفَرٍ، وَثَوَابٍ⁽⁶⁾. وكلُّ ما جاء في القرآن منه يُفسَّرُ بالطَّيِّبِ المُسْتَحْلَى، أو المستحبِّ صورةً كان، أو مُقَامًا، أو قولًا، أو أَدَاءً، أو تصرُّفًا، أو معاملةً مِنَ الناسِ⁽⁷⁾، وبذلك يُفسَّرُ معنى اللَّفْظِ في الآية الكريمة.

(4) ﴿عَفْوًا﴾: من (عَفَوَ) وهو أصْلان يدلُّ أحدهما على ترك الشيء، ومنه تركُّ الشَّيْءِ حَتَّى يَكْثُرَ، ويَطُولَ، وينمو⁽⁸⁾، ومنه إعفاء اللّحي بأن توفَّرَ، وتُكثَّرَ، ومنه عَفَتِ الرِّيحُ الْآثَارَ إِذَا دَرَسَتْهَا، ومَحْتَهَا بِأَنْ تُتْرَكَ مِنْ غَيْرِ تَعَهُّدٍ حَتَّى خَفِيَ عَلَى مَرِّ الدَّهْرِ⁽⁹⁾. أو هو مِنَ الْقَصْدِ، فَعَفَوْتُ عَنْهُ، قَصَدْتُ إِزَالَةَ ذَنْبِهِ صَارِفًا عَنْهُ، فَالْعَفْوُ هُنَا مَحْوُ الذَّنْبِ، وَتَرْكُ

(1) الراغب، المفردات: (بدل).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوء).

(3) الراغب، المفردات: (سوأ).

(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حسن).

(5) الأزهرى، التهذيب: (حسن).

(6) الراغب، المفردات: (حسن).

(7) جبل، اللعجم الاشتقاقي: (حسن).

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عفو).

(9) الراغب، المفردات: (عفا).

العقوبة⁽¹⁾. وفُسرَ العفو في الآية الكريمة بالتَّركِ حتى كَثُرُوا، ونَمَوْا، وكأنَّهم طبقةٌ تغشى وجهَ الأرض⁽²⁾، ويَحتملُ التفسيرُ بِاللَّازِمِ، وهو طولُ الأمدِ وبعْدُ العهدِ.

(5) ﴿مَسَّ﴾: الميم والسَّينُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جَسَّ الشَّيءِ باليد، تقول: مَسِسْتُهُ، أَمَسُهُ، وَمَسِسْتُهُ، أَمَسُهُ، والمَمَسُوسُ من الماءِ، ما نالته الأيدي⁽³⁾، والمسُّ: يقالُ فيما يكون معه إدراكٌ بحاسةِ اللَّمسِ، ومنه يُقالُ في كلِّ ما ينالُ الإنسانَ من أذى⁽⁴⁾، ثم استُعيرَ لِلضَّرْبِ، والأخذِ، والعقوبةِ، وإيقاعِ الضَّرِّ، ونحوه⁽⁵⁾، ومعناه في الآية الكريمة ما نالَ القومَ مِنَ الضَّرِّاءِ والبأساءِ.

(6) ﴿وَالسَّرَّاءِ﴾: السَّينُ والراءُ يَجْمَعُ فروعه خفاءُ الشَّيءِ، وما كان من خالصه، ومستقره⁽⁶⁾، فالسَّرَّاءُ: الدُّنيا الواسعةُ، والراحةُ⁽⁷⁾، والفرحُ⁽⁸⁾، وأَرْضُ سَرَّاءٍ، أي: طيبةٌ⁽⁹⁾. والسَّرَّاءُ: السَّرورُ⁽¹⁰⁾، وفي مضمارٍ ما قَدَّمَ من معانٍ فَسَّرَتِ اللَّفظةُ في الآية الكريمة.

(7) ﴿بَغْتَةً﴾: (بغت)، أصلٌ بمعنى مفاجأةِ الشَّيءِ⁽¹¹⁾، والبَغْتُ: مفاجأةُ الشَّيءِ من حيث لا يُحتَسَبُ⁽¹²⁾، وتقرُّنُ بشديدٍ أو مكروه⁽¹³⁾، وعليه فمعنى اللَّفظةِ: المفاجأةُ بالأخذِ.

❁ المعنى الإجمالي:

لما استمروا بكفرهم؛ رددناهم إلى حالتهم الأولى من رخاءٍ وسعةٍ وصحَّةٍ؛ امتحاناً واختباراً وإمهالاً لهم، واستدراجاً ليزدادوا ضلالاً؛ فإذا رأوا ذلك؛ تعلَّلوا لما أصابهم من البؤس والضَّرِّ بأنَّ ذلك التَّغْيِيرَ الذي أصابَ آباءنا الأولين إنَّما هو شأنُ الدهرِ،

(1) الأزهري، التهذيب، والراغب، المفردات: (عفا).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزمخشري، أساس البلاغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (عفو).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مس).

(4) الراغب، المفردات: (مسس).

(5) ابن الأثير، النهاية، وابن منظور، اللسان، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (مسس).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سر).

(7) ابن الأثير، النهاية: (سرر).

(8) الخليل، العين: (سر).

(9) ابن منظور، اللسان: (سرر).

(10) أبو الحسن الهنائي، المنتخب من غريب كلام العرب، ص: 247.

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغت).

(12) الراغب، المفردات: (بغت).

(13) جبل، المعجم الاشتقاقي: (بغت).

الامتحان بالزخاء بعد الشدة

وعارض من عوارضه أن يداول الضراء والسرء بين الناس، وأنه قد أصاب أسلافهم من قبلهم، ولم يجنهم رسل⁽¹⁾، فكانت عاقبة ذلك أن أصابهم الله بعذاب مدمر فجأة، وهم فاقدو الإحساس بما سيحل بهم.

وترشد الآية الكريمة إلى أن الجهل بسُنن الله وعادته في خلقه؛ مفتاح للغى والزيف، وسبيل للإفساد بين البشر، وإلى أن الابتلاء بالشدة قد يُصبر عليه، ويحتمل مشاقه الكثيرون، فأما الابتلاء بالرخاء؛ فقليل من يصبر عليه.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

وجه الاستفتاح بـ ﴿ثُمَّ﴾:

استفتحت الآية بحرف العطف (ثم) الدال على التراخي، تحقيقاً لمعنى التمهّل، وعدم التعجيل، وليناسب المبالغة في التضرع الذي دُعا إليه، ودلالته على الاستقبال، ولتمكين الاستدراج أن يبلغ مداه، فهما مَظَنَّة سعة الوقت، والإلحاح في الطلب.

إيثار لفظ المكان لجر السيئة بدل الباء:

عَدَلَ عَنْ جَرِّ السَّيِّئَةِ بِالْبَاءِ إِلَى لَفْظٍ يُؤَدِّي مُؤَدَى بَاءِ الْبَدَلِيَّةِ، وَهُوَ لَفْظُ ﴿مَكَانَ﴾، فَهُوَ مَحَلُّ الْبَاءِ، أَيْ: بِمَكَانِ السَّيِّئَةِ، وَفِي لَفْظِ ﴿مَكَانَ﴾ إِشْعَارٌ بِتَمَكُّنِ الْبُأْسَاءِ مِنْهُمْ، كَأَنَّهُ صَارَ لِلشَّدَّةِ عِنْدَهُمْ مَكَانٌ، وَأَعْرَبَهَا بَعْضُهُمْ ظَرْفًا، أَيْ: فِي مَكَانٍ⁽²⁾، فَيُنْصَبُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ مَجَازًا عَنِ الْخَلْفِيَّةِ، يُقَالُ: خُذْ هَذَا مَكَانَ ذَلِكَ، أَيْ: خُذْهُ خَلْفًا عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْخَلْفَ يَحُلُّ فِي مَكَانِ الْمَخْلُوفِ عَنْهُ، أَيْ: بَدَلْنَاهُمْ حَسَنَةً فِي مَكَانِ السَّيِّئَةِ⁽³⁾.

البالغة في
التضرع مَظَنَّة
سعة الوقت،
والإلحاح في
الطلب

في لفظ (مكان)
إشعارٌ بتمكّن
البُأساء منهم؛
شدة، ورهبة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/18 - 19.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 4/281.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/17.

بلادة التّضمين في الآية:

استبدال السيئة
بالحسنة منح
وعطاء

ولفظ (بَدَل) في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾، مُتَضَمِّنٌ مَعْنَى أَعْطَى النَّاصِبَ لِمَفْعُولَيْنِ، وَهُمَا هُنَا الضَّمِيرُ الْمَحذُوفُ وَالْحَسَنَةُ، أَي: أَعْطَيْنَاهُمُ الْحَسَنَةَ فِي مَكَانِ السَّيِّئَةِ، وَمَعْنَى كَوْنِهَا فِي مَكَانِهَا أَنَّهَا بَدَلٌ مِنْهَا؛ ذَلِكَ أَنَّ ﴿مَكَانَ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ لِبَدَلْنَا لَا ظَرْفٌ، وَالْمَعْنَى: بَدَلْنَا مَكَانَ الْحَالِ السَّيِّئَةِ الْحَالِ الْحَسَنَةَ، فَالْحَسَنَةُ هِيَ الْمَأْخُودَةُ الْحَاصِلَةُ فِي مَكَانِ السَّيِّئَةِ الْمَتْرُوكَةِ، وَالْمَتْرُوكُ هُوَ الَّذِي تَصَحَّبَهُ الْبَاءُ فِي نَحْوِ: بَدَلْتُ زَيْدًا بِعَمْرٍو؛ فزَيْدٌ مَأْخُودٌ وَعَمْرٍو مَتْرُوكٌ⁽¹⁾، وَإِنَّمَا حَمَلَهَا عَلَى مَعْنَى الْإِعْطَاءِ، وَهُوَ لَا زَمٌّ مَعْنَاهَا مَعَ أَنَّهُ مُجَازٌ؛ لِأَنَّ مَعْنَى التَّبْدِيلِ لَا يَلَائِمُهُ مَكَانُ السَّيِّئَةِ؛ إِذِ التَّبْدِيلُ يَقَعُ عَلَى السَّيِّئَةِ دُونَ مَكَانِهَا⁽²⁾.

وقد يراد جُمَاعُ الْمَعْنَيْنِ، فَاسْتِبْدَالُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ إِعْطَاءٌ وَعَطَاءٌ، وَتَحْرِيرُ ذَلِكَ: أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْفِعْلِ (بَدَل) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِيهِ قَصْدٌ إِلَى مَعْنَى مَعِيْنٍ لَا يَتَأْتَى مِنْ دُونَ ذِكْرِهِ، إِلَّا أَنَّ تَعْدِيَتَهُ بَغِيرِ الْحَرْفِ الْمُسْتَعْمَلِ مَعَهُ عَادَةً، فِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّوَسُّعِ فِي الْمَعْنَى مَعَ غَايَةِ الْإِيجَازِ، وَمُؤَدَّاهُ أَنَّ لِلْفِعْلِ دَلَالَةً أَصْلَ مَعْنَاهُ، وَبِاسْتِعْمَالِ حَرْفِ الْجَرِّ الَّذِي يَتَطَلَّبُ فِعْلاً آخَرَ يَصْبِحُ لِلْمَعَادِلَةِ وَجْهَانِ مُتَكَامِلَانِ؛ إِذِ يُوَدِّي الْفِعْلُ أَصْلَ مَعْنَاهُ بِالتَّصْرِيحِ بِهِ، وَيَقْتَضِي حَرْفُ الْجَرِّ مَعْنَى الْفِعْلِ الَّذِي يَطْلُبُهُ بِالتَّضْمِينِ.

وهذا التفسير هو طريقة فقهاء أهل العربية؛ لأنهم يجعلون للفعل معنى مع الحرف، ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال، فيُشْرِبون الفعل المتعدي به معناه، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن⁽³⁾.

(1) الشهاب، عناية القاضى: 4/193، والآلوسى، روح المعاني: 5/10.

(2) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البياضوي: 8/452.

(3) ابن القيم، بدائع الفوائد: 2/258.

وجه التعريف في (الحسنة، والسيئة):

أَعْطُوا حَالَةَ
حَسَنَةِ بَطِيئَةٍ
النَّفْعَ لَا تَبْلُغُ
مَبْلَغَ الْبَرَكَاتِ

التَّعْرِيفُ فِي (الحسنة، والسيئة) في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ تعريفُ الجنس، وهو مُشْعِرٌ بِأَنَّهُمْ أَعْطُوا حَالَةَ حَسَنَةٍ بَطِيئَةٍ النَّفْعِ لَا تَبْلُغُ مَبْلَغَ الْبَرَكَاتِ. و﴿حَتَّى﴾ غَايَةً لِمَا يَتَضَمَّنُهُ ﴿بَدَّلْنَا﴾ مِنْ اسْتِمْرَارِ ذَلِكَ وَهِيَ ابْتِدَائِيَّةٌ، وَالْجُمْلَةُ الَّتِي بَعْدَهَا لَا مَحَلَّ لَهَا، و﴿عَفْوًا﴾ كَثُرُوا، يُقَالُ: عَفَا النَّبَاتُ، إِذَا كَثُرَ وَنَمَا، وَعَطَفَ ﴿وَقَالُوا﴾ عَلَى ﴿عَفْوًا﴾، فَهُوَ مِنْ بَقِيَّةِ الْغَايَةِ⁽¹⁾.

إيناز التعبير بالمسّ دون الأخذ:

الضَّرَاءُ وَالسَّرَّاءُ
حَالَانِ تَتَغَيَّرَانِ
بِحَسَبِ الْأَزْمَانِ
وَالْأَحْوَالِ

قَصْدِيَّةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَسِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا﴾ دُونَ الْأَخْذِ فِي الْآيَةِ: إِذِ التَّعْبِيرُ بِالْمَسِّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ هُمَا حَالَانِ تَتَغَيَّرَانِ بِحَسَبِ الْأَزْمَانِ وَالْأَحْوَالِ، وَلَا يَسْتَقَرَّانِ عَلَى شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ دَائِمًا، وَلِأَنَّهُ عَبَّرَ أَوَّلًا فِيمَا أَجْرَاهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لِيُضَرَّعُوا بِالْأَخْذِ لَشِدَّةِ إِيلَامِهِ وَصُعُوبَةِ وَقْعِهِ وَبَعْدِ غَائِرِهِ، ثُمَّ لَمَّا عَفَوْا بَعْدَ اسْتِدْرَاجِ بِالسَّرَّاءِ وَالْكَثْرَةِ وَالنَّمَاءِ، فَنَسُوا مَا كَانُوا فِيهِ قَبْلُ مِنْ ابْتِلَاءِ الشَّدَائِدِ وَالْخُطُوبِ وَالْفَاقَةِ؛ لَمْ يَبْقَ فِي أَذْهَانِهِمْ مِنَ الْابْتِلَاءِ الْأَوَّلِ إِلَّا بَقِيَّتُهُ الْمُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْمَسِّ اسْتِخْفَافًا بِهَا وَتَهْوِينًا لَهَا؛ إِذْ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَحَسَّتِ الْقُلُوبُ، وَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيَطْعَنَ ۖ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَنَ ۚ﴾ [العلق: 6-7]، فَضْلًا عَنْ أَنَّ الْأَخْذَ لَا يَلِائِمُ السَّرَّاءَ؛ لِكَوْنِهِ غَلَبَ فِي مَوَاضِعِ الْمَعَاتِبَةِ، وَالْمَعَاقِبَةِ، وَيَشِيرُ إِلَى أَنَّ الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ هُمَا ابْتِلَاءَانِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، لِيَمْتَحِنَهُمْ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ؛ فَقَدْ مَسَّ آبَاءَهُمُ الضَّرَّاءُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ، وَلَمْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ، وَمَسَّهُمُ السَّرَّاءُ فِي بَعْضِهَا، فَلَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَزِيدُوا فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَتَّقُوا عَذَابَهُ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/18.

علة تأخير السَّراء عن الضَّرَاء:

وجه تأخير السَّراء عن الضَّرَاء في قوله: ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ﴾؛ للإشعار بأنها تعقُّبها، وقيل: الغاية الموافقة لما أصابهم أولاً من ضراء ثم سراء،⁽¹⁾ فقابلَ وفاق ترتيب المصاب، ثم إنَّ الابتلاء بالضَّرَاء يُرادُ به الإيقاظ والتَّنبُّيه والإفاقة، والإرداف بالسَّراء استدراج، فمن مَأْمَنه يُؤْتَى الحَذَرُ.

وافق النَّظْمُ
ترتيبَ المصاب،
وسبب الرَّخاء
والعذاب

بلغة الطباق في الآية:

السَّراء ضدَّ الضَّرَاء، والحسنة ضدَّ السيئة، وهما من طباق الإيجاب الذي يجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، ويُفصَح عن دلالة الرِّبط المؤدِّي إلى مزيدٍ إيضاح المعنى، وبيانه، وتحقيق التَّوازن والانسجام بين اللفظين.

في الطباق مزيد
إيضاحٍ للمعنى

دلالة الفاء للمصاحبة للفظ الأخذ:

الفاء في قوله: ﴿فَأَخَذْنَهُمْ﴾؛ لترتيب ما بعدها على ما قبلها، والتَّعْقِيبُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿عَفَوْا وَقَالُوا﴾ باعتبار أنَّهم لما لم يعرفوا كون ذلك ابتلاءً من الله تعالى لعباده، ولم يبقَ بعد ابتلائهم بالحسنات والسيِّئات إلا أن يأخذهم بالعذاب - فأخذهم أشدَّ الأخذ، وأفضلعه؛ لأنَّ نزول العذاب بلا شعور أشدَّ العذاب، ولا سيَّما حين انتظار نزول أصناف النِّعماء والسَّراء⁽²⁾.

لم يبقَ بعد
ابتلائهم إلا
أن يأخذهم
بالعذاب أشدَّ
الأخذ

الإخبار عن البعثة بالمصدر:

البعثة: مَصْدَرٌ فِيهِ مَعْنَى الْمَجِيءِ عَنْ غَيْرِ إِشْعَارٍ وَلَا إِعْلَامٍ وَلَا ظُهورٍ، وهو مُنْتَصِبٌ عَلَى الْحَالِ؛ لَصِحَّةِ تَأْوِيلِهِ ظَاهِرًا بِاسْمِ الْفَاعِلِ، وَالْإِخْبَارِ بِالْمَصْدَرِ لِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ⁽³⁾.

بالغ في تعذيبهم
بالإتيان به فجأة

(1) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البضاوي: 8/452.

(2) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البضاوي: 8/453.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/190.

عدم الشعور
بالعقاب المفاجئ
آلَمٌ، وأقْسَى

بديع التعبير بالجملة الاسمية:

جُمْلَةٌ «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ لِمَعْنَى بَعَثَتْ، واختيرت الجملة الاسمية المُقَدَّمُ فيها المبتدأ على المسند الفعلي؛ لتقوِّي الحكم، ولتأكيد عدم شعورهم⁽¹⁾، وثبوت العقوبة عليهم، ويناسبه مَبْنَى المضارع الدالُّ على استمرار فعلٍ عدم الشعور في الحال والمستقبل، واستغنى بجملة «لَا يَشْعُرُونَ» عن محذوف تقديره (بنزول العذاب)⁽²⁾، فهو أبلغ من ذكره.

براعة التناسب بين ألفاظ الفواصل:

وللفواصل في الآيات (88 - 95) مجتمعة ومتفرقة تناسبٌ عجيبٌ بيانه:

في آيات المحاورة والمجادلة (88 - 89) كَانَ شَعِيبٌ ﷺ ومن معه كارهين لما أُجبروا عليه، فناسبه لفظُ «الْفَتَحِينَ» الدالُّ على النَّصْر، والتَّكْمِين.

وفي آيات العقوبة الخاصة (90 - 93) جاءت الفاصلة «الْخَسِرِينَ» مناسبة لـ «جَنِّمِينَ» و«كَافِرِينَ»، فالمعطى واحد قوامه وصفُ العقوبة.

أما في آيات العقوبة العامة (94 - 95) لهم ولغيرهم، فقابل نفْيَ الفعل «يَضْرَعُونَ» بصيغة التعليل طبيعة العقوبة المناسبة لهم «لَا يَشْعُرُونَ».

فما أَلْطَفَ تناسَبُ الفواصل في الآي، وأدقَّ انتظامها على رَتَلٍ واحد، توهج إحداها الأخرى، وتُثير معناها!

ثمَّ إِنَّ كُلَّ فاصلة تناسَبُ سياقها: فلفظة «كَرِهِينَ» وقعت في

(1) القنوني، حاشية القنوني على تفسير البضاوي: 8/453.

(2) البضاوي، أنوار التنزيل: 3/25.

سياق أفعال الاستكبار، والإخراج، والعود، فهي أفعالٌ حقيقٌ بها أنْ تُكره، في حين وردت لفظة ﴿الْفَتْحِينَ﴾ في سياق أفعال نفي الافتراء، والعود، ومقابلتها بأفعال التّصديق، النّجاة، والتّسليم، والتّوكل، والفتح، فناسبها لفظُ (الفتح)؛ لأنّ جزاءَ نصرِ الله النصرُ.

وكذلك الآيات الأخر، فالكفرُ والإصرارُ على عدم الاتّباع خسرانٌ، و﴿الرّجفةُ﴾، و﴿جثمين﴾، عقوبةٌ، و﴿كذبوا﴾، و﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾، هم ﴿الْخَسِرِينَ﴾، و﴿رسلت﴾، وإنكارها كُفْرٌ، و﴿بالأساء والضّراء﴾ قرينتان بالتّضرع، والتّدرّج من السيئة، فالحسنة، فالضّراء، فالسّراء، ثمّ الأخذ، والبغطة تقابلها العقوبة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ - فانطباق الفاصلة مع معنى الآي، وانسجامها مع رسيلاها من الآيات الخالفة، والسّابقة دليلٌ دقّةِ النظم، وقصديّة التّأليف.

❖ الفروق المعجميّة:

اللمس، والمسّ، والجسّ:

اللمس: إدراكٌ بظاهر البَشرة فهو لصوقٌ بإحساس، وهو أعمّ ممّا هو باليد، وقد يُقال لطلب الشّيء وإن لم يوجد. والمسّ: الإصابة، وهو في اللّغة التّقاء الشّيئين من غير فصل، أو الجمع بين الشّيئين على نهاية القُرب، ويُقال فيما مَعَه إدراكٌ بحاسّة اللّمس؛ فحقيقته اللّمس باليد، ونُقِلَ من الإحساس إلى المعاني، ليكنّى به عَنِ النّكاح والجُنون، وقد يُقال في كلّ ما ينال الإنسانَ من أذى⁽¹⁾.

فاللمسُ اتّصالُ الشّيء بالبَشرة بحيث تتأثّر الحاسّة به، واللمس كالطلب له؛ ولذلك يُقال: ألمسه فلا أجده⁽²⁾. ويقال: المسُّ أقلُّ تمكّنًا من الإصابة، وكأنّه أقلُّ درجاتها⁽³⁾.

اللمس إصابةٌ
مدركةٌ مقصودةٌ
مألّها إلى التّأثّر

(1) الراغب، المفردات: (لمس، لمس)، وأبو حيان، البحر المحيط: 1/231، والكفويّ، الكليات، ص: 799.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/90.

(3) القاسمي، محاسن التّأويل: 2/396.

ومن هنا فالمسُّ واللَّمْسُ والجَسُّ متقاربٌ، إلا أن الجَسَّ عامٌّ في المحسوسات، والمسُّ فيما يخفى ويدقُّ، والمسُّ واللَّمْسُ بظاهر البَشَرَةِ⁽¹⁾. وقيل: اللَّمسُ: لا يكون عن قصد. والمسُّ: يكون مقصودًا، أو غير مقصود، تقول: (تماسَّ الحجران) ولا يقال: (تلامسَّ الحجران)⁽²⁾.

الشُّعُور، والإحساس:

يرادُ بالشُّعُورِ عِلْمُ الشَّيْءِ عِلْمَ حَسٍّ، مِنْ الشُّعَارِ - وهو ما وليَ الجسدَ مِنَ الثَّيابِ؛ لأنه يمسُّ الشُّعْرَ الَّذِي عَلَى الْبَشَرَةِ -، ومشاعر الإنسان حواسُّه، أما الإحساسُ؛ فهو العِلْمُ بالحواسِّ، وهو عِلْمٌ لا شبهة فيه⁽³⁾. فالشُّعُورُ: إدراكُ الشَّيْءِ مِنْ وَجْهِ يَدَقُّ، مشتقٌّ مِنْ الشُّعَارِ، وهو ثوبٌ يلي الجسدَ⁽⁴⁾. أما الإحساسُ؛ فيراد به العِلْمُ المؤكَّد القاطعُ؛ لأنه مُدْرِكٌ بِالْحَوَاسِّ⁽⁵⁾. فالإحساسُ: التَّأَكُّدُ والتَّيَقُّنُ، أمَّا الشُّعُورُ؛ فهو العِلْمُ الدَّقِيقُ الخَفِيُّ، وهو أنسبُ للفظَةِ «بَعْتَةٌ» في الآية الكريمة.

الشُّعُور إدراكُ
الشَّيْءِ مِنْ وَجْهِ
يَدَقُّ وَيَخْفَى

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 1/231.

(2) البسيلى، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، ص: 565.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شعر)، والزمخشري، الكشاف: 1/175، و422.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: 1/53.

(5) محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 89.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع
القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 14، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-10-4

يشتمل على إرجاعات ببلوغرافية.

مج. 14: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.

1- القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 978-9948-768-10-4

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»